الإعجاز البياني في آيات الجهاد (نماذج مختارة)

نبيل ربيع
قسم اللغة والحضارة الإسلامية
مخبر العلوم الإسلامية في الجزائر
جامعة باتنة 01

ملخص:

تمحورت هذه الدراسة حول إبراز نماذج من الإعجاز البياني في آيات الجهاد، والكشف عن أسرارها البلاغية، ولطائفها البيانية.

ولذا كانت إشكالية البحث تدور حول: الإعجاز البياني في آيات الجهاد، من خلال جملة من التسلؤلات التي نجملها في النقاط التالية:

1- ما هي أبرز الجوانب البيانية في آيات الجهاد؟ و فيم تتمثل خصائص و أغراض هذه الجوانب؟

2- ما تأثير الصور البيانية على القرآن الكريم، و فيم يتمثل سر الإعجاز فيه؟ كيف صاغ القرآن الكريم الألفاظ و الكلمات؟ و كيف وظفها و حدد أغراضها؟

Résumé:

Cette étude a porté sur soulignant les modèles de tableau Miracles dans les versets du Jihad, et la divulgation de secrets rhétoriques, mais les graphiques Taivha.

Ainsi était le problème tourne autour de la recherche: tableau Miracles dans les versets du djihad, à travers une série de Altzlalat qui sont résumées dans les points suivants:

1. Quels sont les principaux aspects dans les graphiques versets du djihad? Et Wim Les caractéristiques et les buts de ces aspects?
2. Quel est l'impact des images graphiques sur le Coran, et Wim est le secret du miracle?
3. Comment inventé les mots et les mots du Coran? Comment employé par et sélectionnez leurs fins?

مقدمة:

بسم الله والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

لقد أيد الله ـ سبحانه و تعالى ـ نبيه محمد ﷺ بمعجزة القرآن الكريم، هذا الأخير الذي سحر كل قارئيه، ذلك لما احتواه من نظم عجيب و تأليف بديع ، و أعجز كل الباحثين و الدارسين المتقدمين منهم و المتأخرين، و ذلك لما تضمنه من أسرار إعجازية و لطائف بيانية و حكم ربانية. و كلما قرأنا القرآن وجدنا أنفسنا منجذبين للتأمل في آياته و سوره، بل في كل كلمة من كلماته و حرف من حروفه، و ذلك لمعرفة سر وجمال لمواضيع الآيات و السور و القرآن من الجانب العلمي و التشريعي و البياني و غيرها كثير.

من هنا خطرت ببالي فكرة معالجة هذا الجانب المهم من جوانب إعجاز القرآن؛ لأنه حينما يعرض حقائق الوجود لا يعرضها جافة مملة، بل يعرضها في إطارها الجميل، الذي يقبله العقل و تميل إليه النفس و تطمئن إليه. و تقشعر منه الجلود، كما تحار فيه الألباب، و من ثم فالصورة البيانية في القرآن ملازمة لكل سورة و آية، و في كل ترتيب بحسب روعتها لكل من يستمع لكلام الله. وتتلخص إشكالية البحث في التساؤلات التالية: ما هو الأثر المعرفي للإعجاز البياني في آيات الجهاد؟ ماهي أبرز الجوانب البيانية في آيات الجهاد؟

بناء على هذه الإشكالية، جاء هذا البحث إضافة إلى مقدمة في مطلبين وخاتمة: أما الأول، فعبارة عن الإطار المعرفي لكل من الإعجاز ،البيان ،الآية ،الجهاد.وأما المطلب الثاني فيتناول نماذج تطبيقية في الإعجاز البياني حول"التشبيه، الإستعارة، الكناية" في آيات الجهاد.-دراسة موضوعية-.

المطلب الأول: الإعجاز البياني وآيات الجهاد: المفهوم والمدلول.

يتناول هذا المطلب مفاهيم لكل من الإعجاز والبيان والآية والجهاد، بشقيه اللغوي والاصطلاحي، للوصول إلى نتائج متكاملة الجوانب، وتصورات كلية حول القضايا المدروسة.

الفرع الأول: مفهوم الإعجاز، لغة و اصطلاحا.

يتناول هذا الفرع تعريف الإعجاز في اللغة والإصطلاح.

أ- في أصل اللغة:

" إعجاز القرآن" مركب إضافي، مكون من كلمتين" إعجاز " و " القرآن "[1]. وكلمة " إعجاز " في أصل اللغة تعني ما يلي:

« أصل هذه الكلمة هي " العجز "، و هو مؤخرة الشيء، و العجز الضعف، وأعجزت الرجل؛ وجدته عاجزا، و أعجزه الشيء أي فاته. و التعجيز: التثبيط، وكذلك إذا نسبته إلى العجز، و عاجز فلان: إذ ذهب فلم يوصل إليه، و المعجزة واحدة من معجزات الأنبياء، و تعجزت البعير: ركبت عجزه»[2].

أما عند صاحب اللسان فنجد عنده: «ومعنى الإعجاز؛ الفوت و السبق، يقال: أعجزني فلان؛ أي فاتني، و منه قول الأعشى:

فَذاكَ وَلَمْ يَعجِز مِن الموتِ رَبهُ وَلكِن أتَاه الموتُ لاَيتَأبَـق[3]

أما في القرآن الكريم فقد ورد اشتقاق هذه اللفظة في قوله تعالى ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ (سورة النساء،الأية:53).

ورد تفسيرها: «أي لستم بمعجزين الله بهرب أو امتناع من العذاب، بل أنتم في قبضته وسلطانه»[4]. و من الإعجاز تشتق لفظة المعجزة، و التي هي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة، دال على صدق الرسول في دعواه.

ب- **في الاصطلاح**:

أما في اصطلاح علماء القرآن الكريم، فإن إعجاز القرآن الكريم هو كتاب الله فوق الطاقة البشرية، فلا يستطيعون المجيء بمثله، فهو معجزة تدل على صدق الرسول محمد ε[5]. أما مصطفى صادق الرافعي، فيرى أن الإعجاز شيئان: «ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، و مزاولته شدة الإنسان و اتصال عنايته، ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن و تقدمه»[6]. و يعرف الأستاذ محمد علي الصابوني الإعجاز القرآني بقوله:« إثبات عجز البشر متفرقين و مجتمعين عن الإتيان بمثله، و ليس المقصود من إعجاز القرآن هو تعجيز البشر لذات التعجيز أي تعريفهم بعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن، فإن ذلك معلوم لدى كل عاقل، و إنما الغرض هو إظهار أن هذا الكتاب حق، و أن الرسول الذي جاء به رسول صادق، و هكذا سائر معجزات الأنبياء الكرام...»[7].

من خلال هذه التعاريف نلاحظ:

- هناك علاقة و قرابة بين التعريفين اللغوي و الاصطلاحي في المعنى.

- المصطلح مستنبط من لسان العرب الفصيح(معاجم و قواميس)، وظف لأداء معنى و وظيفة دلالية.

من خلال تعريف محمد علي الصابوني يمكن لنا تسجيل النقاط التالية:

- إثبات عجز البشر عن معارضة القرآن سواء كانوا مجتمعين أو متفرقين.
- إثبات و تقرير التحدي الذي هو ركن أساسي في فعل الإعجاز.
- إثبات المبتغى من وراء الإعجاز، و هو إظهار مصدقية القرآن و أحقيته المطلقة.
- إثبات القصد منه، و هو إظهار و إقرار صدق الرسول ﷺ في دعواه.

الفرع الثاني: مفهوم البيان لغة و اصطلاحا.

قبل التطرف لموضوع البيان ،يجب تحديد معناه في اللغة ثم في الإصلاح.

أ- **في أصل اللغة**:

« معناه الظهور و الوضوح و الإفصاح، يقال بان الشيء بيانا: اتضح فهو بيّن... وأبنته: أوضحته، و استبان الشيء: ظهر. أي: تظهر له شحوبا... و بان الصبح لذي عينين: ظهر و وضح، و البيان: الفصاحة، وفلان أبين من فلان؛ أي أفصح منه و أوضح كلاما»[8]. و روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «إنّ من البيان لسحرا، و إنّ من الشعر لحكما»[9]. قال الإمام الجوهري:«... و البيان و الفصاحة و اللسن، و في الحديث إن من البيان لسحرا...، و فلان أبين من فلان؛ أي أفصح منه و أوضح كلاما. و البيان أيضا ما يتبين به الشيء من الدلالة و غيرها، و بان الشيء يبين بيانا؛ اتضح فهو بين، و كذا أبان الشيء فهو مبين، و أبنته أنا أي أوضحته، و استبان الشيء: ظهر، و استبنته أنا عرفته، تبين الشيء ظهر، و التبيين الإيضاح و هو أيضا الوضوح»[10].

و نافذة القول لما سبق سرده من التعاريف اللغوية لمصطلح البيان، المستنبط من بطون كتب المعاجم و المصادر و المراجع المختلفة، نخلص إلى نتيجة مفادها: أن البيان يعني الوضوح والكشف عن الأشياء، وإظهار المقصود بأبلغ لفظ.

ب- في الاصطلاح:

- **البيان عند الإمام الشافعي** (150-204هـ):

« هو إسم جامع لمعان مجتمعة الأصول متشعبة الفروع ، فأقل ما في تلك المعاني المجتمعة المتشعبة أنها بيان لمن خوطب بها ممن نزل القرآن بلسانه،

متقاربة الاستواء عنده، و إن كان بعضها أشد تأكيد بيان من بعض، و مختلفة عند من يجهل لسان العرب»[11]. و الذي نلمحه من التعريف أن الأصولي يجعل من النص القرآني دليلا على معاني، و الذي به يحاول وضع أصول(قوانين) لاستكشافها كما هو تأثر بالمفهوم الكلامي الذي يجعل الكون دليلا على وجود الله و قدرته.

- **البيان عند أبي عثمان الجاحظ** (163 – 255 هـ)

« اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى و هتك الحجاب دون الضمير»[12]. «هو الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي»[13]. فكل دلالة دلت على معنى فهي بيان، و الغاية في ذلك هي الفهم و الإفهام؛ و لهذا أعقب تعريف يوضح ما قلناه: « مدار الأمر و الغاية التي إليها يجري القائل و السامع هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام و أوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع»[14].

نخلص من هذه النصوص إلى أن:

1- الجاحظ تأثر بتعريف الشافعي، لأن المتأخر يتأثر عن المتقدم(255 – 204).

2- أن مفهوم البيان عند الجاحظ: هو عملية إجرائية و وسيلة عملية موصلة إلى الفهم والإفهام.

3- أن الدلالات عند الجاحظ تتنوع من اللفظ و الإشارة و الخط و العقد و النسبة.

الفرع الثالث: مفهوم الآية لغة و اصطلاحا.

أ- **في أصل اللغة**:

لقد تباينت آراء أصحاب المعاجم العربية في تحديد مفهوم "الآية" و أهم هذه الآراء: يرى ابن فارس أن (أيي)؛ الهمزة و الياء و الياء أصل واحد و هو النظر بمعنى الانتظار؛ يقال: أي تمكث، و استشهد على ذلك بقول الشاعر:

قِفْ بِالديَارُوقوفَزَائِر وتَأْيِإنَّكَ غَيرُ صَاغِرٍ

وعن ابن الأعرابي: تأييت الأمر؛ انتظرت مكانه[15].

و على هذا الأساس تكون الآية متصفة بضرورة الانتظار عندها، و النظر فيها بالمكث والتلبث، و يقف القارئ عندها وجوبا. أما من حيث وزنها؛ فيرى ابن فارس:« أن أصل "آية": أأية، بوزن أعيه مهموز همزتين فخففت الأخيرة

فامتدت، فالسيبويه، موضع العين من الآية واو، لأن ما كان موضع العين منه واو و اللام ياء أكثر من موضع العين و اللام منه ياءان، مثل: شويت هو أكثر في الكلام»[16]. أما الجوهري في الصحاح فلم يزد على ما أورده ابن فارس في المقاييس على الرغم من اختلاف الشواهد و الأمثلة، حيث قال: «إن الآية من كتاب الله جماعة الحروف، وقد خالف ابن فارس فيما أورده من أصل الآية لغة، حيث قال: و الأصل(أوية) بالتحريك مستشهد بقول سيبويه: أن موضع العين واو، و قد نقل عن الفراء قوله: أن الآية هي من الفعل فاعلة، و إنما ذهبت منه اللام، و لو جاءت تامة لجاءت(أييه) و لكنها خففت»[17].

و نلحظ من خلال هذا التعريف، تركيز الجوهري على التفسير الديني ومدى ارتباطه بالتفسير اللغوي، حيث حاول الجمع بين القولين و تجميع ما قيل في أصل الآية. أما من حيث الدلالة المعجمية، قول الزجاج:« بأن الآيات بمعنى الآثار»[18].

ونستخلص مما سبق أن المعاجم اللغوية في العربية تكاد تجمع على أن الآية من حيث وزنها (فعلة) بفتح العين، أو(فعلة) محركة أو (فاعلة) ، و جمعها آيات و آي، وجمع الجمع آياء، أصلها (أوَية) بفتح الواو، و قالوا أصلها (أييه) تحركت الياء وانفتح ما قبلها فجاءت آية.

كما أن مصطلح الآية كان متداولا وكثير الاستعمال في كلام العرب – الجاهلية – خاصة في الشعر و لهم فيها معاني:

1- الآية بمعنى العلامة. و هي دليل يهتدى به.

2- استعمالها لآثار الديار و رسومها، آيات مقام أهلها بها قبل رحيلهم عنها، و منه قول النابغة الذبياني:

تَوهمْتُ آيَاتِ لهَافَعــــرفْتُهَـا لِستَةأعْـــوامٍ وَذَاالعَامُ سَابـعُ
رِمَادٌ كَكُحْلِ العَيْنِ مَاإِنْتَــبيَّنه وَنؤَيكَجُذمالحَوضِ أثلَمِخَاشِع[19]

منازل توهمها النابغة كما عهدها منذ ستة أعوام ، فتغير الرماد على السنين، فصار كآثار كحل العين، و تغير النؤي الذي كان يحجز الماء على خباء صاحبته، فصار كبقية حوض تهدم، فهو متكسر لاطيء بالأرض بعد شخوصه و بروزه[20].

3- توظيفها للبناء العالي الذي بني ليستدل به(آية)؛ و قد نعى هود عليه السلام على قومه عاد، أنهم كانوا يعتمدون على كل ربوة بارزة فيبنون عليها(آية) عالية؛ لا لغرض الهداية بل إسرافا و تخليدا لقوتهم و بطشهم، بهذا

المعنى صيغت الآية في قوله تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ (سورة الشعراء،الأيتان:128_129).

4- استعمالها للعبرة؛ و من ذلك قول زهير بن أبي سلمى المزني:

أَرَانِي إِذَا مَا شِئْت لاَقِيتُ أَيةً تُذكِرُني بَعْض الذِي كُنتُ نَاسِيًا

أي لاقيت عبرة من العبر تذكرني ما نسيت. و منه كذلك قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾ (سورة يوسف،الأية:07).

و غيرها من المجاري التي تأتي في سياقها.

وردت في القرآن الكريم 365 مرة[21]، و قد جاءت حسب سياقها بمعان عدة هي:

أولها: المعجزة و منه قوله تعالى: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّـهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّـهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (سورة البقرة،الأية:211).

ثانيها: العلامة، و منه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (سورة البقرة،الأية:248)؛ أي علامة ملكه.

ثالثها: العبرة، و منه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (سورة البقرة،الأية:248).

رابعها: الأمر العجيب، و منه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ (سورة المؤمنون،الأية:50).

خامسها: البرهان و الدليل، و منه قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ (سورة الروم،الأية:22).

وجامع الأقوال لما سبق ذكره من التعاريف اللغوية لمصطلح الآية، المستنبط من بطون كتب المعاجم المختلفة، نستنتج أن الآية تعني: المعجزة والعلامة والعبرة والبرهان وغيرها من هذه المعاني، التي تحمل و تستنبط غالبا حسب سياقها.

ب- **في الاصطلاح**:

لقد تعددت الآراء و اختلف التحديدات، كما اختلفت وجهات النظر إلى الآية و أسلوب تناولها، و أهم هذه الآراء هي:

* قال **الجعبري**: «حد الآية قرآن مركب من جمل و لو تقديرا ذو مبدأ أو مقطع مندرج في سورة»[22]. و قيل: «الآية: طائفة من القرآن منقطعة عن ما قبلها و ما بعدها»[23]. و قيل:«هي الواحدة من المعدودات في السور، سميت به لأنها علامة على صدق من أتى بها، و على عجز المتحدببها»[24]. و قال بعضهم:«صحيح أن الآية إنما تعلم بتوفيق من الشارع، كمعرفة من السورة»[25]. و أكد ذلك الزمخشري بقوله:«الآيات علم توقيفي لا مجال للقياس فيه»[26]. و قد أشار ابن منظور إلى المعنى الاصطلاحي بذكر قول كل من أبي بكر و بن حمزة حيث قال:«قال أبو بكر: «سميت الآية من القرآن آية، لأنها علامة لانقطاع كلام من كلام، و يقال سميت الآية آية لأنها جماعة من حروف القرآن، و آيات الله عجائبه»، أما بن حمزة فقال:«الآية من القرآن كأنها العلامة التي يفضي منها إلى غيرها كأعلام الطريق المنصوبة للهداية»[27]. و قال السيوطي:« و مما يدل على أنه توقيفي، ما أخرجه أحمد في مسنده من طريق عاصم عن زر عن ابن مسعود، أنه قال:« أقرأني رسول الله ρ سورة من الثلاثين من آل حم قال يعني الأحقاف »[28].

من هذا المنطلق تكون الآيات تمثل و تشكل عبر و علامات لمن أراد الاعتبار و الهداية. و يمكن أن نصوغ تعريف مبني على التعريفات السابقة، فنقول: الآية القرآنية هي وحدة محددة شرعا من القرآن الكريم.

الفرع الرابع: مفهوم الجهاد لغة واصطلاحا:

أ- **في أصل اللغة:**

ورد في اللسان: «الجَهْد و الجُهْد: الطاقة؛ تقول: اجهد جهدك، و قيل: الجَهْد المشقة، و الجُهد: الطاقة. قال الليثي: الجَهْد ما جهد الإنسان من مرض أو أمر شاق؛ فهو مجهود، قال: والجُهد لغة بهذا المعنى»[29].

و الفرق بين فتح الجيم و ضمها؛ أن الفتح ينصرف إلى المشقة و الغاية، و أما الضم فيكون بمعنى الوسع و بذل الطاقة.

و أما الجهاد بكسر الجيم مصدر جاهدت مجاهدة و جهادا، و أصله جيهاد كقيتال؛ فخفف بحذف الياء، و هو مشتق من الجَهد بفتح الجيم، و هو التعب و المشقة؛ لما فيه من ارتكابها، أو من الجُهد بالضم؛ و هو الطاقة، لأن كل واحد منهما ببذل طاقته في دفع صاحبه»[30].

و عليه فالجهاد مثل المجاهدة، مصدر قولهم: جَاهَدَ يُجَاهِدُ، و ذلك مأخوذ من مادة(ج هـ د) التي تدل في الأصل على المشقة، ثم يُحمل على هذا الأصل. ويعني كذلك محاربة الأعداء، و هو المبالغة و استفراغ ما في الوسع و الطاقة من قول أو فعل. قال الراغب:« و الجهاد ثلاثة أضرب: مجاهدة العدو الظاهر، و مجاهدة الشيطان، و مجاهدة النفس، و تدخل ثلاثتها في قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّـهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَـٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّـهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (سورة الحج،الاية:78)»[31].

ب- **<u>في الاصطلاح</u>**:

و قد عرف الشرع الجهاد بالعبارات التالية:

«الجهاد مقاتلة عدو المسلمين دفعا عنهم و إعلاء لشأن الدين، و ذلك بالنفس و المال واللسان»[32]. كما يعني كذلك: قتال الكفار لإعلاء كلمة الله، و يكون الدين كله لله. و جاء عن ابن قيم الجوزية قوله: «و الجهاد من أعظم ما يقرب إلى الله تعالى، و هو ذروة سنام الإسلام و قبته و منازل أهله أعلى المنازل في الجنة، كما أن لهم الرفعة في الدنيا، فهم الأعلون في الدنيا و الآخرة»[33]. كما أنه كان محرما في بدء أمر الإسلام، ثم مأذونا به، ثم مأمورا به لمن بدأ المسلمين بالقتال، ثم مأمور به لجميع المشركين، إما فرض عين على أحد القولين، أو فرض كفاية على المشهور»[34]. أما ابن حجر فقد عرفه بقوله: «الجهاد بذل الجُهد في قتال الكفار»[35].

و قد ورد في شأنه نصوص شرعية من آيات قرآنية و أحاديث نبوية و آثار موزعة على الجدول التالي:

الآيـــات	الأحـــاديث	الآثـــار
52	69	10

الفرع الخامس: مفهوم الإعجاز البياني في القرآن:

بعد تسجيل مفاهيم و مدلولات مفردات عنوان البحث لغة و اصطلاحا بالنسبة لمفردات" الإعجاز – البيان – الآية – الجهاد" آن لي أن أجمع مفهوما شاملا متكاملا لمصطلح الإعجاز البياني في القرآن، فأقول و بالله التوفيق:

"***الإعجاز البياني***: هو لون و وجه من وجوه الإعجاز القرآني يعتمد على الترتيب البديع لكلمات القرآن الكريم في جملها من جهة، و اختيار هذه الكلمات من جهة أخرى، ثم ترتيب الآيات و الجمل في السورة على نمط فريد و متكامل". والقرآن الكريم تحدى العرب و أعجز ملكتهم البيانية و التي كانت سجية و فطرة فيهم، لأنه فاقهم في الأسلوب و السياق المبني على اجتماع الألفاظ و ترتيبها في نمط معين على سبيل الإعجاز و القصد في توظيف الكلمات و الوفاء بالمعنى. لهذا ظلت الكلمة القرآنية هي أساس النظم.

هذا هو التعريف الذي بدا لي بعد النظرة المتأنية في مفاهيم مفردات عنوان البحث لغة واصطلاحا، مما كشف لي العلاقة و القرابة بين الإعجاز و البيان، مما أدى بي الأمر بعد ذلك محاولة وضع مفهوم شامل يجمع بين الإعجاز و البيان.

هذه وقفة قصيرة مع مفاهيم و دلالات المصطلحات الواردة في عنوان البحث، حاولت من خلالها إبراز مدلولاتها و معانيها كدليل مفتاحي للبحث.

المطلب الثاني: الإعجاز البياني في آيات الجهاد-دراسة موضوعية-

يمثل هذا المطلب دراسة تطبيقية لإبراز الإعجاز البياني في موضوع الجهاد؛ الذي شغل حيزا كبيرا في القرآن الكريم، ولاحتواء آيات الجهاد على الصور البيانية و البلاغية؛ كالتشبيه و الكناية و الالتفات و القصر و غيرها.

وقد جاء هذا المطلب في ثلاثة فروع، يتناول الأول: التشبيه، في حين يتحدث الثاني الاستعارة، أما الثالث: فتناول: الكناية.

الفرع الأول: التشبيه:

و هو من أروع علوم البلاغة، و أقر بها رحما بالخاطر، و هو نزهة القارئ و متعة السامع، و بستان العقل، و استراحة النفس. يقول عنه صاحب ((الطراز)): «و اعلم أن التشبيه هو بحر البلاغة، و أبو عذرتها، وسرها و لبابها و أسنان مقلتها»[36]. و ذكر أساطين البلاغة و فرسانها أن الغاية من التشبيه أن يمثل الغائب الخفي الذي لا يعتاد بالظاهر المحسوس المعتاد، و من هنا يكشف التشبيه المعنى، و يوضح المراد، ويمثل الشيء بما هو أحسن و أعظم و أبلغ منه، فبكون ذلك الحسن مكتسب من الغلو والمبالغة»[37]. مادة التشبيه هي: حرف الشين و الباء و الهاء، و هذه الحروف كيفما وقعت من الصور على اختلاف تراكيبها لا تعدو ستة أقسام و جميعها يرجع معناه إلى القرب و المماثلة[38]:

- الأول: ش ب هـ يقال: شِبْهٌ و شَبَهٌ، كمِثْلٌ و مَثَلٌ.
- الثاني: هـ ب ش ، الهبش: الجمع و الكسب.
- الثالث: هـ ش ب، مُهْمَل لم تضع العرب له معنى.
- الرابع: ب ش هـ، مُهْمَل أيضا لم تضع العرب له معنى.
- الخامس: ش هـ ب، الشهبة: البياض الذي غلب السواد.
- السادس: ب هـ ش، بهش إليه إذا ارتاح[39].

و كل هذه الألفاظ تدل على معنى القرب و المماثلة. و جاء في تعريفه: «التشبيه؛ الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه ناب منابه أو لم ينب»[40]. و عرفه ابن رشيق بأنه: «صفة الشيء بما قاربه و شاكله، من جهة واحدة أو من جهات كثيرة، لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إيّاه»[41].

التشبيه ميدان فسيح من ميادين البلاغة، و له منزلة سامية، و ما ذلك إلا لأنه يدني البعيد و يجلو الغامض، و تكتسي به المعاني بهاء و روعة، و هو من أعظم مسائل البيان و الخيال عند العرب، إذ كان يعبر بصدق عن بيئتهم الصحراوية، و عندما أشرقت شمس الإسلام، كان لتشبيهات القرآن أثر بالغ في كلام العرب، لا سيما شعراؤهم، حيث كانت بواعث هذه الصور التشبيهية في تصوير المعنى، إذ أن القارئ للقرآن لا يشعر بأنها جاءت لتفخيم الأحداث أو تزيين الكلام و تنميقه كما هو الشأن في كثير من الشعر، و إنما جاءت لتضيف الكثير إلى التعبير و تغدوا جزءا منه[42]. و لشرف هذا الفن و علو مرتبته نجد أن القرآن الكريم قد حوى منه مارقّ وارتقى فبلغ المنتهى في الإعجاز و التعجيز.

و لنا جولة في رحاب هذا الفن في بعض آيات الجهاد، فمن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ (سورة الصف، الآية4).

جاء في تفسيرها: «بيان لما هو مرضي عنده تعالى بعد بيان ما هو ممقوت عنده، وهذا صريح في أن ما قالوه عبارة عن الوعد بالقتال لا عما تقوّله الممتدح أو انتحله المنتحل أو ادعاه المنافق و أن مناط التعبير و التوبيخ هو إخلافهم لا وعدهم كما أشير إليه، و قرئ يقاتلون بفتح التاء و يُقتلون،(وصفا) مصدر وقع موقع الفاعل أو المفعول ونصبه على الحالية من فاعل يقاتلون أي صافين أنفسهم أو مصفوفين(كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرصُوص) حال من المستكن في الحال الأول؛ أي مشبهين في تراصهم من غير فرجة و خلل ببنيان رص بعضه إلى بعض و رصف حتى صار شيئا واحدا»[43].

و موضع الشاهد (كَأَنَّهُم بُنيانٌ مَّرصُوص)تشبيه مرسل مفصل في القوة و التراص[44]. حيث ذكرت الأداة و التي هي الكاف(مرسل) و ذكر وجه الشبه، و الذي هو القوة في التراص.

كما أنه تشبيه تمثيلي، تشبيه صورة بصورة، و وجه الشبه فيه منتزع من عدة أشياء متناسقة.

و من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّـهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّـهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة، الآية261).

(كَمَثَلِ حَبَّةٍ) تشبيه مرسل مجمل، حيث ذكر فيه أداة التشبيه، و حذف وجه الشبه، فالله سبحانه و تعالى شبه الصدقة التي تنفق في سبيله بحبة زرعت وبارك الله فيها فأصبحت سبعمائة ضعف[45].

و قوله تعالى: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ (سورة الأنفال، الآية6)، تشبيه تمثيلي؛ حيث صورهم و هم يجادلون الرسول ρ في شأن الخروج للقتال في معركة بدر، حيث لا عدة بحالة الإنسان الذي يساق للموت.

و منه قوله تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّـهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّـهِ يَسِيرًا﴾ (سورة الأحزاب، الآية19). تشبيه تمثيلي لأن وجه الشبه منتزع من متعدد[46].

و منه قوله تعالى: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّـهِ ۙ وَأَنَّ اللَّـهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ (سورة التوبة، الآية2). تشبيه بليغ؛ أي كالنجس في خبث الباطن و خبث الاعتقاد، حذفت منه أداة التشبيه ووجه الشبه و مثله في قوله تعالى:[اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أربابا] أي كالأرباب في طاعتهم و امتثالهم لأوامرهم.[47] و منه قوله تعالى:[هو أذن] الأصل كالأذن يسمع كل ما يقال له، فحذفت منه أداة التشبيه و وجه الشبه فصار تشبيها بليغا.

و هكذا نجد القرآن الكريم قد يجعل من هذه التشبيهات عنصرا أساسيا في بناء الجملة، حيث لا يمكن الاستغناء عنها، و لا يتم المعنى بدونه؛ لذا فإن القرآن الكريم قد تميز بالقدرة الفائقة في استعمال الألفاظ الدقيقة الموحية المصورة، و التي يظل فعلها قويا مؤثرا، و بهذا فقد حقق القرآن ما يهدف إليه من التأثير في العاطفة، و تشخيص المجهول الذي يهدف إلى تثبيت المعنى و تحقيقه، فكان من أوقع الأساليب في الترغيب و الترهيب، و الاطلاع و الهداية، إلى غير ذلك من الأهداف الجليلة التي يسمو إليها هذا البيان المعجز و يقصر المقام عن الإحاطة بها.

المطلب الثاني: الاستعارة:

و تعد من الفنون البلاغية الراقية ، و التي تؤدي المعاني المطلوبة بأوجز عبارة وأجمعها، و قد تحدث أهل الفصاحة و اللسن عن علو منزلتها، و شرف قدرها، و فاضت بمزاياها مؤلفاتهم. قال السيوطي: «اتفق البلغاء على أن الاستعارة أبلغ منه – أي التشبيه – لأنها مجاز و هو حقيقة، و المجاز أبلغ، فإذا البلاغة أعلى مراتب الفصاحة»[48]. و يقول الرماني عن فضلها:« و كل استعارة حسنة، فهي توجب بلاغة بيان لا تنوب منابه الحقيقة»[49]. و الأساس الذي تقوم عليه الاستعارة هو التشبيه، و لا يكون ذلك التشبيه واضحا و إنما كما يقول الجرجاني: «يتراءى لك بعد أن تخرق إليه سترا، و تعمل تأملا و فكرا»[50].

إذا ففضل الاستعارة بين و فائدتها جليلة، تؤدي من المعاني العظيمة ما لا يؤديه اللفظ الحقيقي.

و **معناها في اللغة** مأخوذ من قولهم: استعار المال إذا طلبه عارية كما جاء في قول ابن الأثير: «الأصل في الاستعارة المجازية مأخوذة من العارية الحقيقية التي هي ضرب من المعاملة، و هي أ، يستعير بعض الناس من بعض شيئا من الأشياء، و لا يقع ذلك إلا من شخصين بينهما سبب معرفة ما يقتضي استعارة أحدهما من الآخر شيئا ، و إذا لم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه فلا يستعير أحدهما من الآخر شيئا؛ إذ لا يغرفه حتى يستعير منه، و هذا الحكم جار في استعارة الألفاظ بعضها من بعض، فالمشاركة بين اللفظين في نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر؛ كالمعرفة بين الشخصين في الشيء المستعار من أحدهما إلى الآخر»[51].

من خلال ما تقدم نلحظ الصلة بين المعنى اللغوي أو الحقيقي للاستعارة و معناها المجازي، إذ لا يستعار أحد الطرفين للآخر إلا إذا كانت صلة معنوية تجمع بينهما.

و**اصطلاحا**[52]: هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه و المعنى المستعمل فيه مع قرينة صارفة عند إرادة المعنى الأصلي. قال الجاحظ و هو من الأوائل الذين عرفوا الاستعارة:« هي تسمية الشيء بغير اسمه إذا قام مقامه». و قال ابن المعتز: «هي استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها». و قال قدامة بن جعفر: «هي استعارة بعض الألفاظ في موضع بعض على التوسع والمجاز». و قال أبو الحسن الرماني:« الاستعارة استعمال العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة».

و من الآيات التي وردت فيها الاستعارة ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّـهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّـهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ۚ إِنَّ اللَّـهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (سورة النساء، الآية94). استعارة؛ حيث استعار الضرب بالجهاد، و استعارة السبيل بدين الله[53].

و منه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّـهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّـهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ

الْكَافِرِينَ﴾ (سورة الأنفال، الآية7). حيث استعيرت الشوكة للسلاح بجامع الشدة و الحق في كل منهما[54].

ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّـهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة التوبة، الآية5). حيث شبه مضي الأشهر و انقضائها بالانسلاخ الواقع بين الحيوان و جلده على سبيل الاستعارة المكنية[55].

و منه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّـهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ (سورة التوبة، الآية25). شبه ما حل بهم من النكبة و الهزيمة و الضيق النفسي بضيق الأرض على سعتها على سبيل الاستعارة[56].

و قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّـهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّـهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (سورة التوبة، الآية32). أراد به نور الإسلام، فإن الإسلام بنوره المضيء و حججه القاطعة يشبه الشمس الساطعة في نورها و ضيائها، فهو من الاستعارة، و هي من لطائف الاستعارات[57].

و قوله أيضا: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّـهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّـهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّـهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۚ وَكَلِمَةُ اللَّـهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّـهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة التوبة، الآية40). كلمة الذين كفروا استعارة عن الشرك، كما أن كلمة الله استعارة عن الإيمان[58].

و قوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّـهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (سورة التوبة، الآية47). استعارة تبعية؛ حيث شبه سرعة إفسادهم ذات البين بالنميمة، بسرعة سير الراكب، ثم استعير لها الإيضاع و هو الإبل، و الأصل" و لأوضعوا ركائب تمائمهم خلالكم[59].

و قوله أيضا: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ ۚ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّـهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة التوبة، الآية93). الخوالف: النساء المقيمات في دار الحي بعد رحيل الرجال، ففيه استعارة، و إنما سمي النساء خوالف تشبيها لهن بالخوالف و هي الأعمدة تكون في آخر البيت، فشبههن لكثرة البيوت بالخوالف التي تكون في البيوت[60].

و قوله: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّـهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّـهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة التوبة، الآية109). في الكلام استعارة مكنية، حيث شبهت التقوى و الرضوان بأرض صلبة يعتمد على البنيانو حذف المشبهبه و أشار إليه بشيء من لوازمه و هو التأسيس[61].

وقوله: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين﴾[62]. استعارة تبعية، حيث شبه بذلهم المال و النفس و الإثابة عليها بالجنة بالبيع و الشراء[63].

و قوله تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولَـٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّـهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّـهِ يَسِيرًا﴾ (سورة الأحزاب، الآية19). استعارة مكنية، حيث شبه اللسان بالسيف المصلت، و حذف المشبه به و رمز إليه بشيء من لوازمه، و هو السلق بمعنى الضرب، و لفظ حداد ترشيح للاستعارة[64].

و قوله أيضا: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّـهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّـهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (سورة محمد:4). استعارة تبعية، حيث شبه ترك القتال بوضع آلته، و اشتق من الوضع "نضع" بمعنى تنتهك و تترك بطريق الاستعارة التبعية[65].

المطلب الثالث: الكناية و التعريض:

الكناية إحدى الروائع الأسلوبية التي تجلت فيها آيات الذكر الحكيم، فشرفت بشرف وجوده بين آياته، و هي مظهر من مظاهر البلاغة، و غاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه، و وصفت قريحته، و السر في بلاغتها أنها في صور كثيرة تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها، و القضية و في طبيعتها برهانها.[66]

وهي من الفنون التي توخّاها العرب حرصا منهم على استجلاب الألفاظ المؤدية للمعاني المقصودة، و بها يتذوقون الأساليب، و يوشون فنون الكلام[67].

والكناية عكس التصريح و الإيضاح، و هي نقيض التعبير عن الشيء بأسلوب مباشر، إنها نوع من الإخفاء و التغميض، و التعبير عن المعنى المطلوب بوساطة معنى آخر[68].

و **يعرفها البلاغيون** بقولهم: الكناية لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى[69]. فالكناية إذن تعبير غير مباشر من غير وجود قرينة تمنع من إرادة الظاهر المباشر. أما التعريض فهو إمالة الكلام إلى غرض بدل على الغرض[70]، أي توجيه كلام المتكلم إلى المخاطب(السامع) و أنت تريد شخصا آخر، فيطلق الكلام و يشار به إلى معنى آخر يفهم من السياق. و يأتي التعريض غالبا على شكل الحكمة و المثل. وإليك الفرق بين الكناية و التعريض:

الكنـــاية	التعريـــض
✓ تفهم من السياق. ✓ دلالة الكناية لفظية مجازية. ✓سميت الكناية لضمور معناها الحقيقي. ✓ تختص باللفظ المفرد و المركب معا.	✓ أخفى من الكناية. ✓ دلالة التعريض دلالة المفهوم تفهم من السياق ✓سمي تعريضا لأن المعنى يفهم من عرضه-جانبه- ✓ يختص باللفظ المركب فقط.

ومن الآيات التي وردت فيها الكناية و التعريض، ما جاء في قوله تعال: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّـهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّـهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة الأنفال، الآية7)، و هي كناية عن الهلاك.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّـهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّـهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة الأنفال، الآية7)، كناية عن الشح و البخل والإمساك.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّـهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ اللَّـهِ مَسْئُولًا﴾ (سورة الأحزاب، الآية 15)، كناية عن الفرار من الزحف.

وقوله أيضا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ۙ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ (سورة محمد، الآية 25)، كناية عن الكفر بعد الإيمان.

وقوله أيضا: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (سورة الفتح، الآية 22)، كناية عن الهزيمة.

ومنه قوله تعالى: ﴿هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّـهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (سورة آل عمران، الآية 119)،كناية عن شدة الغضب و الغيظ.

ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّـهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَاتَّقُوا اللَّـهَ ۚ وَعَلَى اللَّـهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾(سورة المائدة، الآية11)، كناية عن البطش و الفتك.

وهكذا نرى كيف علا القرآن الكريم و ارتقى و رقى في استخدامه لهذا الفن من فنون البلاغة، فأورد كل كناية موردها الصحيح، فلا نبو و لا إخلال، بل تأدية للمعاني الجليلة بأقل عبارة و أبينها، و نجد أن كل كناية وردت قد ذهبت بالنفس كل مذهب في الحسن والجمال، و تأدية المراد بكل لطافة و حسن، و هذا هو شأن القرآن الكريم في مختلف الفنون التي طوعت لخدمة معانيه، و تأدية مراده، فسما بكل ما حوى، و اعتلى حتى بلغ الإعجاز و التعجيز.

نتائج البحث:

إن دراسة هذا الأنموذج من خلال القرآن الكريم باعتماد على البلاغة العربية كشف عن أسرار بيانية منها:

1- أن التعاريف اللغوية للإعجاز متقاربة، و كأن بعضها يأخذ عن بعض، بحيث لا تخرج عن معنى القصور عن فعل الشيء.

2- وجود قرابة في المعنى بين التعريفين اللغوي و الاصطلاحي.

3- إعجاز القرآن الكريم هو عدم قدرة الكافرين على معارضة القرآن، و قصورهم عن الإتيان بمثله، رغم توفر ملكتهم البيانية، و قيام الداعي على ذلك، و هو استمرار تحديهم و تقرير عجزهم عن ذلك.

4- أن القرآن الكريم معجزة على مر العصور، و هو بهذا دليل على مصدره الرباني.

5- أن البحث في الإعجاز القرآني، لا بد أن يكون عن شيء موجود في كل سورة، ونجد الظاهرة العامة هي(البيان)، لأنه به ينتظم القرآن كله، سورة سورة على اختلافها طولا و قصرا.

6- البيان في القرآن هو الوضوح و الكشف و الظهور، مما يجعل للمصطلح يتسم بشمولية المساحة و سعة المفهوم.

7- البيان مصطلح واسع الدلالة و المفهوم في اللسان العربي و القرآن الكريم.

8- توافق بين التعاريف اللغوية للمصطلح و مفهومه في القرآن.

9- أن مصطلح الآية تختلف معانيها حسب المجاري و الدلالات التي توظف فيها.

10- الإعجاز البياني هو عجز الطاقة البشرية العربية على الاتيان و مجاراة الأسلوب القرآني.

11- عظمة الأسلوب القرآني و احتوائه على جميع فنون البلاغة مما توصل العقل البشري إلى استنباطه منها، و احتوائه على فنون أخرى تعجز النفس الإنسانية عن اكتشاف مكمنها.

12- روعة الأسلوب القرآني عند مخاطبة النفس البشرية، و تنويعه بين الأساليب المختلفة للدخول إلى أعماق النفس، و جمعه بين أرقى أساليب الخطاب.

13- علو فصاحة الأسلوب القرآني و بلاغته، و تقاصر رقاب البلغاء و الخطباء عن الوصول إليه.

أن القرآن الكريم خاطب الجميع على قدر عقولهم، فقد خاطب العربي و البدوي بما يفهم و يدرك، كما خاطب الخاصة من الناس بما يشبع تفهمهم الفكري و العلمي، كل ذلك بأسلوب عجيب فريد معجز، يفهمه العامي فهما سطحيا، لكن كلما كان عقل الإنسان أكبر كان تعمقه في فهم الآيات أشد، فالعامي يأخذ المعنى من مجموعة الآيات، لكن الخاصة من الناس تجدهم يدققون في الجمل أكثر و حتى مع الألفاظ و الحروف.

وليس هذا غريبا ما دام هذا القرآن قد نزل بلسان عربي مبين، قال عنه الشاعر:

أنَا البَحْرُ فِي أَحْشَائِهَا الدُّرُ كَامِنَ فَهَلْ سَأَلُوا الغَوَاصَ عَنْ صَدفَاتِي

إحالات الدراسة:

1الراجح في تعريف هذا المصطلح هو: القرآن هو كتاب الله المنزل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته.
2الجوهري، أبي نصر بن حماد، تاج اللغة و صاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط3، 1404هـ - 1984م، ج3، ص: 883 - 884.
3ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط:/، س:/، ج4، ص:2817.
4الصابوني، صفوة التفاسير، قصر الكتاب، البليدة، دار الشهاب، باتنة، ط5، 1411هـ - 1990م، ج:1، ص: 557.
5خالد بن عمبور، الإعجاز البياني للآيات الكونية في القرآن الكريم، رسالة الماجستير في اللغة العربية و الدراسات القرآنية، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة للعلوم الإسلامية، قسنطينة 2000 – 2001، ص:5 .
6مصطفى صادق الرافعي، تاريخ أدب العرب – فصل إعجاز القرآن – دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط:/، س:/ ، ج2، ص: 139.
7محمد علي الصابوني، البيان في علوم القرآن، دار الشهاب، ط:/، س:/ ، ص: 89-90.
8بيسوني عبد الفتاح فيود، علم البيان- دراسة تحليلية لمسائل البيان- مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، القاهرة، مصر، ط3، 1432هـ - 2011م ، ص: 13.
9البخاري، صحيح البخاري، كتاب الطب، باب إن من البيان سحرا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط:/، س:/، مجلد4، ص: 39.
10الجوهري، تاج اللغة و صحاح العربية، ج2، ص:81.
11محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:/، 1986م، ص: 21 .
12أبي عثمان الجاحظ، البيان و التبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط:1، س:/، ج1، ص:76.
13الجاحظ، المصدر السابق، ج1: ص: 75.
14الجاحظ، المصدر نفسه، ج1، ص: 76.
15أحمد بن فارس ، مقاييس اللغة، تحقيقي عبد السلام هارون، دار الفكر، ط:/، 1979، ج1، ص: 167 – 168.
16ابن فارس، المصدر نفسه، ج1، ص: 167 – 168.
17الجوهري، تاج اللغة و صحاح العربية، ج1: ص: 2275.
18ابن منظور، لسان العرب، ج 14، ص: 61.
19محمود محمد شاكر، مدخل إعجاز القرآن، مطبعة المدني، القاهرة، ط1، 1423هـ -2002م، ص: 126.
20صالح غريبي، الآية القرآنية بين الإعجاز اللغوي و العلمي- دراسة وصفية وظيفية- رسالة الدكتوراه في اللغة العربية، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2005 – 2006 م، ص: 24.

=

=

21محمد فؤاد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط:/، س:/، ص: 103 – 108.
22السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر، القاهرة، مصر، ط:/، س:/، ج1، ص: 68.
23السيوطي، المصدر السابق، ج1، ص: 67.
24السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص: 267.
25السيوطي، المصدر نفسه، ج1، ص: 267.
26الزمخشري محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، ترتيب: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط:/، 1995م، ج1، ص: 41.
27ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص: 61.
28أحمد بن حنبل، مسند أحمد، تحقيق شعيب أرناؤوط – عادل مرشد و آخرون(مسند عبد الله بن مسعود)، مؤسسة الرسالة،ط:1، 1421هـ - 2001م، ج7، ص: 88، حديث رقم: 3981.
29ناصر بن عبد الرحمن الحنين، النظم القرآني في آيات الجهاد، مكتبة التوبة، الرياض، ط1، 1416هـ - 1996م، ص: 20 نقلا عن لسان العرب لابن منظور.
30ناصر بن عبد الرحمان الحنين، مرجع سابق، ص:20.
31ناصر بن عبد الرحمن الحنين، مرجع سابق، ص: 20.
32ابن منظور، لسان العرب، مادة: جهد، ينظر كذلك: النظم القرآني لناصر عبد الرحمن بن ناصر الحنين، ص: 20.
33ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرناؤوط و عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، ط25، 1412هـ - 1992 م، ص: 21.
34ابن القيم الجوزية، مرجع سابق، ص:21، ينظر كذلك: النظم القرآني لناصر عبد الرحمن بن ناصر الحنين، ص: 21.
35صالح بن عبد الله بن حميد و آخرون، موسوعة نظرة النعيم في مكارم و أخلاق الرسول الكريم ﷺ لما أمر به و نهي عنه في الكتاب و السنة، دار الوسيلة، جدة – السعودية، ط:1، 1418هـ - 1998م، باب جهاد الأعداء، ج4، ص: 1471 – 1492.
36العلوي، يحي بن حمزة، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط:/، 1402هـ - 1982م، ج:1، ص:226.
37ابن السنان الخفاجي، محمد بن عبد الله، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط:/، 1402هـ - 1982م، ج:1، ص:236.
38صلاح الدين بن أيبك الصفدي، الكشف و التنبيه على الوصف و التشبيه، تحقيق: هلال ناجي و وليد بن أحمد الحسين، إصدارات الحكمة، بريطانيا، ط:1، 1420هـ - 1999م،ص:55 – 58.
39صلاح الدين بن أيبك الصفدي،مرجعسابق،ص:58.

=

=

40العسكري، أبو الهلال الحسين، كتاب الصناعتين – الكتابة و الشعر – تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط:/، 1404هـ - 1984م، ص:261.
41ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسين، العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده، تحقيق عبد الحميد هنداوي،(د_ط) المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1424هـ - 2004م، ج1، ص:252.
42عمار بشيري، التصوير البياني في صورة الشعراء، رسالة الماجستير في اللغة العربية، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2006 – 2007 ، ص:68.
43أبو السعود العمادي، تفسير أبي السعود المسمى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،ج6، ص:242.
44محمد حسين سلامة، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط:1، 1423هـ - 2002م، ص:351.
45محمد حسين سلامة، مرجع سابق، ص:52.
46محمد حسين سلامة، مرجع سابق، ص:247.
47محمد حسين سلامة، مرجع سابق،ص:116.
48السيوطي، جلال الدين، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق علي البجاوي، دار الفكر العربي، بيرت – لبنان، ط:/،س:/، ج1، ص:284.
49الرماني، أبو الحسن، النكت في إعجاز القرآن، ص:72، نقلا عن كتاب: من بلاغة القرآن الكريم في مجادلة منكري البعث، بذرية بنت محمد ، دار الراية، الرياض – السعودية، ط1، 1417هـ ، ص:435.
50الجرجاني عبد القادر، أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار المعارف، بيروت – لبنان، 1398هـ - 1978م، ص:35 – 36.
51ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تحقيق: أحمد لحوفي و بدري طبانة، دار الرفاعي، الرياض،ط2، 1404هـ - 1984م, ج1
52ينظر: عبد اللطيف شريفي و زبير دراقي، الإحاطة في علوم البلاغة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،ط1، 2004، ص:145.
53محمد حسين سلامة، مرجع سابق، ص:77.
54محمد حسين سلامة، مرجع سابق، ص:110.
55محمد حسين سلامة، مرجع سابق، ص:116.
56محمد حسين سلامة، مرجع سابق، ص:116.
57محمد حسين سلامة، مرجع سابق، ص:116.
58محمد حسين سلامة، مرجع سابق،ص:116.
59الألوسي، ، مرجع سابق،ج1، ص:112.
60محمد حسين سلامة، مرجع سابق،ص:117.
61محمد حسين سلامة، مرجع سابق، ص:118.
62سورة التوبة:11.

=

=

63محمد حسين سلامة، مرجع سابق،ص:118.
64محمد حسين سلامة، مرجع سابق، ص:248.
65محمد حسين سلامة، مرجع سابق، ص:308.
66السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط:6، (د-ط)،(د-س)،،ص:280.
67أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، البيان، المعاني، البديع، دار القلم، بيروت – لبنان، (د-ط)،(د-س)، ص:286.
68وليد قصّاب، البلاغة العربية، البيان و البديع ،ص:225.
69وليد قصاب، مرجع سابق،ص:225..
70الزمخشري، مرجع سابق، ج1، ص:137.